

الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل

[279] فكلا الفريقين غريقان في ظلمات الجهل وعبادة الذات(1). وبعد ذلك يقول القرآن

الكریم: (من یشاء الله یمض و من یشأ يجعله على صراط مستقیم). سبق أن قلنا إن نسبة الهداية والضلالة إلى مشیئة الله وإرادته نسبة تفسرها آیات أخرى في القرآن يقول سبحانه: (یضل الله الظالمین) ویقول: (وما یضل به إلا الفاسقین) وفي موضع آخر یقول: (والذین جاهدوا فینا لنهدينهم سبلنا) یتضح من هذه الآيات وغيرها من الآيات القرآنية أن الهداية والضلالة اللتين تنسبان في هذه الحالات إلى مشیئة الله إنما هما في الحقيقة ثواب الله وعقابه لعباده على أفعالهم الحسنة أو السيئة. وبعبارة أخرى: قد یرتکب الإنسان أحياناً إنما كبراً يؤدي به إلى أن یحیط بروحه ظلام مخيف، فتفقد عينه القدرة على رؤية الحق، وتفقد أذنه القدرة على سماع صوت الحق، ويفقد لسانه القدرة على قول الحق. وقد يكون الأمر على عکس ذلك، أي قد يعمل الإنسان أعمالاً صالحات كثيرة بحيث أن عالماً من النور والضوء یشع في روحه، فيتسع بصره وبصيرته، وتزداد أفكاره إشعاعاً، ويكون لسانه ابلغ في إعلان الحق، ذلكم هو مفهوم الهداية والضلالة اللتين تنسبان إلى إرادة الله ومشیئته. * * *

_____ 1 - "الميزان"، ج 7، ص 84.